طوبونيميا جبل نفوسة من خلال كتاب "تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم"

أ.د. يحيى بن بهون حاج امحمد
قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب، جامعة غرداية، الجزائر
hadjmahammed@univ-ghardaia.dz
+213772148458

الملخص:

لقد كان جبل نفوسة ولا يزال زاخراً في تاريخه الحافل بالعلماء والأعلام الذين أحيوا الدين ونشروا العلم، واشتهروا فيه بالتقوى والورع، وقد احتضنت أولئك الأفذاذ من الرجال والنساء معالم حضارية خلدت كتب السيّر مآثرهم على مرّ القرون، وكانت تلك المعالم منارات للعلم والصلاح، فعلى امتداد جبل نفوسة اشتهرت مئات القرى والمساجد، وعُرفت مقامات وأضرحة بالزيارة، وازدهرت غيران بالعلم، وعيون ماء وأودية وبساتين للتين والزيتون بمآثر العلماء والصالحين...

تأتي هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على طوبونيميا جبل نفوسة من خلال كتاب "تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم" للمستشرق تادايوش ليفيتسكي، وتبرز أهمية الطوبونيميا ودورها في تطوير الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وتنتهي الورقة بمشروع "المعجم الطوبونيمي لجبل نفوسة"...

الكلمات المفتاحية: طوبونيميا – نفوسة – ليفيتسكي – القرى – الجبل.

Abstract:

The Jabal Nafusa region has a rich historical legacy, thanks to the scholars and teachers who revived religion and spread knowledge there. They were known for their piety and pastoral lifestyle, and both men and women contributed to the region's cultural landmarks. These landmarks—villages, mosques, and shrines—stood as beacons of knowledge and righteousness. Many of these sites became famous pilgrimage destinations, attracting visitors throughout the centuries. In addition to its religious and cultural significance, several cities and villages in Jabal Nafusa developed due to their focus on education and learning. Valleys and orchards, particularly those growing figs and olives, thrived under the influence of the region's scholars and devout figures.

This research sheds light on the toponymy of Jabal Nafusa through the book *"Naming the Sheikhs of Jabal Nafusa and its Villages"* by the Eastern scholar Tadayush Levitsky. The study highlights the role and importance of toponymy in the development of the human and social sciences. The research concludes with a proposal for a project to create a "Toponymy Glossary of Jabal Nafusa."

Keywords: Toponymy - Nafusa – Levitsky – villages – Mountain.

مدخل:

بداية لابد من التنويه إلى جهود مؤسسة تاوالت الثقافية التي بذلت جهوداً ممتازة في خدمة الذاكرة الثقافية الليبية عموماً والنفوسية خصوصاً، ومنها إعداد مجموعة معتبرة من الترجمات لعديد المصادر والمراجع الغربية التي تناولت تاريخ نفوسة ومصادرها القديمة والحديثة... وخاصة ما تعلق باللغة أو التاريخ الأمازيغيين في ليبيا .

يعد هذا الكتاب الجزء الأول من ضمن سلسلة الدراسات والبحوث التاريخية، وهو من تأليف العالم البولندي تادايوش ليفيتسكي (Tadeusz lewicki)، وتكمن أهميته في كونه بحثاً متوسعاً في الطبونوميا والأتوميا الأمازيغية عموما والنفوسية على وجه الخصوص، وذلك انطلاقا من ست ورقات تقريباً من مخطوط يعدد فيه مؤلفه المجهول أسماء شيوخ الجبل وقراهم المنحدرين منها.

يرى الناشر بأنّ هذا النوع من البحوث فريدٌ في بابه مع استثناء الدراسة المتوسعة التي قام بها المستشرق الإيطالي فرانشسكو بيگونو (Beguinot, Francesco) في الطوبونوميا الأمازيغية في ليبيا على العموم. – والكلام له– يقول: "لنذرة البحوث في هذا الميدان في ليبيا على وجه الخصوص، ارتأت مؤسسة تاوالت الثقافية أنه من واجبها أن تُبادر في ترجمة هذه الأعمال مع تقديم لبعض الدراسات الميدانية في الطبونوميا الليبية. وذلك لسدّ باب التكهّنات المنفتح على مصراعيه في فهم وتحليل معاني وترجمة أسماء بعض المناطق الليبية تحليلاً علمياً [1].

1. **الطوبونيميا:**

فرع من فروع الأونوماستيك وهو علم يهتم بدراسة أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية ويسمى بالمواقعية أو الطوبونيميا، الطوبونيميا كلمة يونانية مركبة من "طوبو" أي المكان و"أونوما" أي التسمية، وتعني دراسة أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية وهي من العلوم الحديثة التي ظهرت في القرن التاسع عشر ويعتبر (Auguste Longon) المؤسس الأول للمواقعية، ثم جاء بعده (Albert Douzat) و(Charles Rostaing) و(Ernest Négre) [2].

تنقسم الطوبونيميا إلى:

1. **الطوبونيم** أي اسم المكان.
2. **الإدرونيم**، أي مجاري وموارد المياه؛ تالا أي منبع، **سُف** أو **أسِف** أي سيل، **إغزر** أي واد، **تِرست** أو **أنُ** أي بئر، **أڤلمَم** أي بحيرة أو بركة، **تِطّ** أي عين، **تَفِلَلت** الانحدار الذي يصرف الغيث إلى مكان

[1] – تادايوش ليفيتسكي، تر: عبد الله زارو، تق: موحمد وُمادي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، مقدمة الناشر، ص3.

[2] – ماريو كورسي، تر: عبد الوهاب الدّاب، مر: موحمد وُمادي، عبر الجبل (رحلة ماريو كورسي)، تاوالت، 2013.

تجمع المياه، **تِمزَر** أي سواقي مبنية خصيصا لتوجيه ماء الغيث إلى الحقول، إنتِسَ أي الروافد مثل واد الرافدين، لقسِر (الاسم الأصلي لمدينة قصر البخاري) أي المنحدر الذي تجري فيه المياه، إلخ...

3. الأورونيم، أي أسماء الجبال والمرتفعات. (أَدرَارْ – أَورِيرْ ...).
4. الأودونيم، أي أسماء الطرق والمسالك والشوارع.
5. الإتنينوم، أي أماكن بأسماء الأعراش والقبائل.
6. الهاجيونيم، أي أماكن بأسماء الأعلام ذات البعد الديني والروحاني.
7. وهناك تسميات تندرج في مجال الميكرو طوبونيم، أمثلة لأماكن سميت نسبة إلى نباتات اشتهرت بها، أو بساتين، وحيوانات تعيش فيها [3]...

ترجمة موجزة للمؤلف:

تادايوش ليفيتسكي (Tadeusz lewicki) تخرج من معهد فقه اللغات الشرقية. بجامعة جاجيلونيا في كراكوفيا. وواصل دراسته في باريس وشمال إفريقيا. وعين مديراً للقسم الشرقي بجامعة كراكوفيا ورئيسا للدراسات العربية فيها، ومديراً للجنة المستشرقين المتفرغين من مجمع العلوم البولوني، ومديرا لمتحف المنمنمات الشرقية، ورئيساً لتحرير المجلة الشرقية.

إلى جانب كل الدراسات الاستشراقية التي قدمها عُرف عنه اختصاصه باللغة الأمازيغية وتنوعاتها وبخاصة دراساته الشمال إفريقيا. وبالتحديد ما يختص منه بتاريخ الإباضية وعقائدها تلك المجموعة التي ما زالت حية في مناطق عدة من العالم الإسلامي. وخاصة في شمال إفريقيا (الجزائر تونس وليبيا). وهو يتابع بنجاح أعمال اسموغورزفسكي وباسيه وموتيلنسكي وماسكريه ومنذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وجد ليفيتسكي تحت تصرفه المخطوطات الإباضية الثمينة في لُوفُوف (LOWO)[4] التي جمعها سموغورزقسكي وخصص ليفيتسكي للإباضية عموماً ولنفوسة دراسات مهمة منشورة باللغة الفرنسية[5].

يندرج هذا العمل الطموح في ترجمة كل الأعمال المنجزة عن الأمازيغية أو الأمازيغ في ليبيا ضمن برنامج متوسع تقوم به مؤسسة تاوالت الثقافية ضمن برنامجها بعيد المدى للبحث في الجذور والتعمق بدراسات علمية رصينة في موروث الأجداد ومحاولة رفع الحيف والظلم المحاطين بثقافتنا الليبية الأصيلة [6].

---

[3] – إبراهيم عبد السلام، الطوبونيميا وآليات اللغة – مزاب نموذجاً، مداخلة لملتقى المعجم الطوبونيمي لإقليم مزاب، جامعة غرداية، فبراير 2023، ص2 – 5.

[4] – صارت حالياً مدينة أوكرانية.

[5] – عمر لقمان بوعصبانة، منتقيات من التراث (مقالات ومحاضرات)، نشر ذاكرة عُمان، ط1، 2016، ص21 – 22.

[6] – تادايوش ليفيتسكي، تر: عبد الله زارو، تق: موحمد وُمادي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، مقدمة الناشر، ص4 –5

التمهيد للكتاب:

يقول المؤلف: "مكّنتني البحوث والدراسات العلمية المنجزة في تواريخ عدة ما قبل حرب (1939 – 1945) من جمع مادة غنية جداً مأخوذة من الكتابات التاريخية والبيوغرافية للمذهب الإباضي ذات صلة بتاريخ وجغرافيا الغرب (شمال إفريقيا).

وأغلب هذه المادة مقتبسة من المطبوعات الشرقية النادرة التي كانت في زمن مضى جزءاً من المنشورات الإباضية لـ (لُفُوف) (**Lwow**) وقد تولى جمعها الفقيد اسموغورزوفسكي (Smogorzewski)، أما المادة الأخرى. فقد تم اقتباسها من المخطوطات الإباضية التي أتيحت لي فرصة تنقيحها أثناء زيارتي لمنطقة مزاب سنة 1934، وقد كانت هذه المادة قاب قوسين أو أدنى من الضياع إبان الحرب الأخيرة لولا جهود أصدقائي التي أسفرت عن إنقاذ الجزء الأكبر منها، وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لهم عن عظيم امتناني لما فعلوه أما عن سلسلة المنشورات الإباضية لـ (لُفُوف) فأجهل كلّ شيء عن مآلها بعد عام 1939[7]. ومن الأرجح أن ظروف الحرب أنت عليها نهائيا على غرار مكتبات ومطبوعات المخطوطات في الجزء الأعظم من أوروبا"[8].

ويواصل موضحاً: "أمّا اليوميات وأخبار السير الإباضية التي وصلتنا فهي تتفاوت – سواء من حيث الفائدة التي تمثلها، أو من حيث قيمة كل واحدة منها على حدة، إنها تمدنا بتفاصيل مهمة عن تاريخ المذهب، والسيرة الذاتية للأمة والحكام والعلماء، وشخصيات أخرى إباضية مشهورة [9] كما تمدّنا أيضاً بنسخ كثيرة من الرسائل والوثائق، بعضها قديمٌ جداً وله أهمية كبيرة بجانب ملاحظات وحواشي ذات قيمة تنكيتية أو قداسيه خالصة، لا تعدم أيضا تفاصلاً تهم البلدان والشعوب المسلمة التي تدين بغير المذهب الإباضي".

أما في الكتابات الإباضية التي كانت من تأليف أبو زكريا يحيى أبي بكر الوارجلاني، وأبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، وأبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، وآخرين [10]، فإنَّ المعطيات الأوفر فيها تهمّ تاريخ وجغرافية الغرب ولها أهمية خاصة سيما ما تعلق منها بالفترة الممتدة ما بين القرن الثامن والعاشر

[7] – عمر لقمان بوعصبانة، منتقيات من التراث (مقالات ومحاضرات)، ص76 – 84.

[8] – نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص7 – 8.

[9] – معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط1، 1999، 4 أجزاء.

[10] – ينظر: ببليوغرافيا الإباضية، قسم المغرب، أم.أتش.كاسترس، تر: موحمد ؤمادي – خديجة كرير، نشر وزارة الأوقاف عُمان، 2021، مجلدين.

الميلاديين. فمن المستحيل اليوم تركيب مونوغرافيات حول الدول الرستمية[11] والأغالبة أو وحتى الفاطميين بدون الاستعانة بالمعطيات المتضمنة في اليوميات والسير الإباضية"[12].

والواقع أنّ هذه الإشارة الأخيرة من المؤلف في محلها وموفقة لأنّ الانطلاق من الدراسات التي كتبها أهل المناطق عن مناطقهم تكون أكثر واتزاناً من الدراسات الوافدة لأن أهل مكة أدرى بشعابها كما قول المثل والسائر[13]، وفي هذا تأكيد لما ذهب إليه المؤرخ الجزائري الشيخ محمد علي دبوز حول ضرورة خدمة تراث الأمة وجمعه؛ إذ يقول في كتابه **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة:** "...إنَّ تاريخ الجزائر الحديث إذا لم نُعجِّل به يضيع، فيا ليت كُتّاب الجزائر يهتمّون به؛ فيكتبُ كلٌ عن ناحيته كلّ ما يستطيع الوصول إليه، فيتكوّن لنا من مجموع ذلك تاريخ الجزائر الكامل، وليس تعصُّباً أن يقصر المؤلف جُهوده على ناحيته، فإنه واجبُ فرضٍ لأنه أعرفُ بها من غيره، ويستطيع من البحث فيها ما لا يستطيع سواه، ثم هو قد شاهد وحفظ من أحداثها التاريخية ما لم يعرف غيره، فيجب أن يقدم كلَّ ذلك إلى القراء، وإذا كتمه وضاع يكون آثماً، وقد رأينا القدماء يَخُصّون بلدانهم بتأليف واسعة فلم يَعُدّ الناسُ ذلك تعصباً بل واجباً وفضيلة عُظمى..."[14].

أهمية الكتاب:

يقول المؤلف: "إنّ هذا العمل بين يديك هو أول محاولة من نوعها ضمن مجموعة دراسات حول المصادر الإباضية أنوي نشرها. وأيضا حول تاريخ وجغرافية البلدان والقبائل الإباضية الموجودة بالغرب (شمال إفريقيا) إنه عمل يقدم تحليلا لقائمة الشخصيات الإباضية المشهورة ما بين القرن الثاني والسادس الهجريين الموافق للقرن الثامن والثاني عشر الميلاديين والتي تنحدر من جبل نفوسة وهي منطقة جبلية معروفة في جهة طرابلس الغرب وكذلك من أماكن متفرقة رامزة إلى أصولها.

تكتسي هذه اللائحة أهمية خاصة لأنها تخص جغرافية وتاريخ بلد يشكل هو وتيهرت المركز الروحي والسياسي للإمامة الإباضية بالغرب والذي ظل وفياً للمذهب الإباضي الوهبي حتى اليوم [15].

---

11 – إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985.

12 – تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص8.

13 – ينظر: معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف، عُمان، ط1، 2008.

14 – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وتورثها المباركة، المطبعة العربية، ط1، 1971، ج2، التقديم.

15 – نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص8.

إننا نتوفر على لائحة بأسماء الأضرحة الإباضية الجبل نفوسة في القرن 16م من إنجاز روني باسي **René Basset** ونشره كما هو [16]. وبحوزتنا وصف لهذا البلد كتبه إبراهم وسليمان أشماخي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ونشره **Motylinski** موتيلينسكي[17].

أعتقد أنَّ الوثيقة التي هي موضوع هذه الدراسة ستكون تكملة مفيدة لهذه الكتابات جميعها. ومن شأنها أن تساعد في سد الثغرات الموجودة في تاريخ وجغرافية منطقة طرابلس الغرب، وفي الإمامة الرستمية القديمة"[18].

توطنه (بين يدي المخطوطة):

يصف المؤلف المخطوطة التي اشتغل عليها بالقول: "من بين المخطوطات العربية لما قبل الحرب (1939 – 1945) والتي نجدها ضمن المنشورات الإباضية التي جمعها اسموغورزوفسكي، ثمة مخطوط بعينه له أهمية خاصة. هذا المخطوط رقم 277 يضم 208 ورقة أي ما يعادل 416 صفحة غير مترابطة من حجم 2127 × سم و1825 سم مكتوبة بالحروف العربية الحديثة. الظاهر أنه استنسخ ثلاث مرات بطرق مختلفة لم تكن للأسف في وضع جيد، وهو ما ينطبق على النسخة التي بين أيدينا. فهي أسوأ مما كنا نأمل أن تكون عليه. فلقد تم إنجازها اعتماداً على نسخة أخرى أكثر قدما يعود تاريخها إلى عام 1913 بغرداية. على يد اسموغورزوفسكي الذي قام أيضا بالمقارنة بين نصيهما.

على غلافها الأصفر نقرأ العنوان الآتي: كتاب السير تأليف الوسياني، يُفهم من العنوان أعلاه أنَّ الأمر يتعلق هنا بكتاب السير لأبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، وهو كاتب إباضي من بلاد الجريد في جنوب تونس. وقد عاش في القرن السادس الهجري الموافق للثاني عشر الميلادي غير أن تحقيقاً دقيقاً للمخطوطة إلى أنه جمع لثلاث سير إباضية. وحدها السيرة الأولى الممتدة من الصفحة 1 إلى الصفحة 189 مطابقة لعنوان مؤلف الوسياني أمّا الكتاب الثالث الذي يضم الصفحات من 345 إلى 416 فالظاهر أنه لا يعدو أن يكون نسخة عن الجزء الثاني من كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبو زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني، وهو مؤرخ إباضي معروف ينحدر من ورجلة، وعاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي.

---

16 – قامت مؤسسة تاوالت الثقافية بترجمته تحت عنوان: مشاهد جبل نفوسة. Le Djebel Nefousa – Transcription, Traduction Et Notes De Calassanti-Motylinski_ **بعنوان** Française

ينظر: نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص8.

17 – قامت مؤسسة تاوالت الثقافية بنشر جزء من هذا الكتاب والمتعلق بتعليقاته النحوية ضمن المخطوط المعنون بـ تغاسرا د تبريدن دي درارن تـ تنفوسن من ترجمة الأستاذ عبد الله زارو. ينظر: نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص9.

18 – نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص8 – 9.

يبقى الجزء الأوسط من المخطوط والذي يبدأ من الصفحة 190 بالبسملة وينتهي في الصفحة 344 بالكلمات الآتية: (تمّ ما وجد من سير المشايخ رحمة الله عليهم) من هذه الجملة الأخيرة نفهم أن عنوان هذا الكتاب هو سير المشايخ"[19].

ويضيف: "لم تتم الإشارة لا إلى اسم الكاتب ولا إلى تاريخ التأليف، غير أننا ندرك بفضل الإشارة الموجودة في الصفحة 296 أنّ المؤلف المجهول كان تلميذا للشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني والشيخ أبو عمر عثماني بن خليفة السوفي وهذا المعطى يسمح لنا بافتراض تقريبي لتاريخ كتابة هذا المؤلف ... نسْتَخْلِص من دراسة لكتاب سير المشايخ بأنّ نصه اعتمد أساساً على مؤلفات الوسياني والسوفي، وكذا أعمال أبو عمار عبد الكافي، وأبو نوح وأبو صالح..." [20].

ويضيف موضحاً: "نلاحظ أنَّ الكاتب المجهول لسير المشايخ يستعين أساسا، بالمصادر الآتية من المنطقة التي يسميها الإباضيون المغرب أي جهة الغرب وتشمل بلاد الجريد، وسوف ووارجلان، في حين لا يستعين إلاَّ نادراً بالتقاييد الإباضية لجهة جبل نفوسة فمن المرجح إذن أنه كان هو نفسه مغربي أي منحدر من جهة الغرب، اللغة العربية التي كتب بها كتاب سير المشايخ مليئة بالأخطاء وبالعبارات المبتذلة وأسلوبه يكشف الأصل غير العربي لكاتبه الذي كان أمازيغياً قليل التمرّس بالكتابة بالعربية"[21].

أجزاء الكتاب:

يُبيّن المؤلف أجزاء الكتاب بالقول: "عند النظر إلى مضامين كتاب "تسمية شيوخ نفوسة وقُرَاهُمْ" ... هذا النص أبعد ما يكون عن تشكيل مجموعة متراصة من المعلومات بوسعنا تقسيمه إلى أربعة أجزاء متمايزة عن بعضها البعض أهمها وأكبرها هو الجزء الأول الذي يتضمن جردا بأسماء مشاهير الشيوخ الإباضيين الجبل نفوسة مرتّبين حسب مناطقهم الأصلية. هذه المناطق مرتبة بدورها وفق ترتيب جغرافي من الغرب في اتجاه الشرق ومقسمة إلى مجموعتين تبعاً للتقسيم الجغرافي والسياسي لجبل نفوسة نفسه، المجموعة الأولى تضمّ الأماكن الموجودة في أميناج أي الجزء الغربي للجبل بينما المجموعة الثانية تشمل الأماكن التي تشكل الجهة الشرقية فيه، وتدعى هذه المجموعة جادو وقراها [22].

19 – نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص11.

20 – نفسه، ص12.

21 – نفسه، ص14.

22 – نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص16 – 17.

هذا الجرد للشيوخ وأماكن تواجدهم تخللته ثلاث نكات الأولى تهم أبو ويزكمين الثانية أبا علي والثالثة صديقه أبو الخير الزواغي في نهاية هذا الجرد. تضاف أسماء لشيوخ وأماكن موجودة في المنطقة الغربية لجبل نفوسة والتي لم يرد ذكرها في المجموعة الأولى.

أما الجزء الثاني من "تسمية الشيوخ" ويشمل سجلاً لإثني عشر شخصاً من مستجاب الدعاء وهم صلحاء إباضيون عاشوا بجبل نفوسة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي. وفي النصف الأول من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي – ينقسم هؤلاء الصلحاء بدورهم إلى منحدرين من الجهة الغربية للجبل ومنحدرين من جادو ونواحيها.

الجزء الموالي في هذا المقطع يتضمن لائحة عن نساء عديد من شيوخ جبل نفوسة، وأخيراً، نجد في الجزء النهائي لائحة بأسماء عدد من العجائز الصالحات بالجبل مرتبة حسب مناطقهن الأصلية.

هذا فضلاً عن قائمة بحوالي خمسين تجمعاً سكنياً في جبل نفوسة، من بينها تجمعات ذكرت لأول مرة بالمصادر، ونجد بالوثيقة أيضاً حوالي مئة شخصية إباضية مشهورة فيهم رجال ونساء وأئمة وحكاما وعلماء، العديد من هذه الأسماء هي أمازيغية أو عربية تمنعت بحد أيضا من بين الأسماء أسماء ذات أصل لاتيني، وهنا المعطى لا ينبغي أن يُفاجئنا بالنظر إلى الماضي المسيحي لساكنة جبل نفوسة بل إنّ عائلة واحد من حكام جبل نفوسة وهو أبو منصور إلياس والذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كانت مسيحية الأصل حسب الوثيقة بين أيدينا.

ستَجِدُونَ أسْفَلَهُ النّص العربي لهذا المقطع كما هو في أصله إذا استثنينا بعض التصحيحات التي أدخلت على أخطائه الآتية في الغالب من أيدي النقلة الأرقام على الهامش مطابقة لصفحات مطبوع لُفُوف رقم 277 بينما الأخرى الموضوعة بين قوسين في المتن نفسه تحيل القارئ على الأرقام المطابقة لنص الشروحات"[23].

والمتأمل لمنهجية المؤلف في كتابه يجد تداخلاً بين عرض أسماء المواقع وأسماء الأعلام رجالاً ونساء، ربما يهدف إلى عرض أعلام كل طوبونيم على حدي، كما يتابع العرض حسب التوزيع الجغرافي الذي ارتضاه لبحثه في التقسيم بين قرى جبل نفوسة وقرى شرقه، ويعرض الطوبونيم والقراءات المحتملة له حسب المصادر التي اشتغل عليها، والنسبة العلم إليه كالفرسطائي مثلا، كما يشير المؤلف إلى وجود بعض الطوبونيمات النفوسية إلى عهده وتشابها مع طوبونيمات أخرى في الجزائر وهي كثيرة عنده [24].

طوبونيميا كتاب "تسمية شيوخ جبل نفوسة وقُراهم":

[23] – نفسه، تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم ص17 – 18.

[24] – ينظر: ف.أكاردو، معجم قبائل ودواوير الجازئر، تر: حمزة الأمين يحياوي – مالك بن خيرة، نشر وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.

أولاً: الجهة الغربية لجبل نفوسة:

الرقم	الطوبونيم	الملاحظة (اختلافات الكتابة والنطق)	نوعه
.1	إيدركل	درشل / تين ن درشل – تين ن دركل	قرية قديمة
.2	تين ورزيريف	تين وارزيرف / تونزيرف	قرية قديمة
.3	أنير	شمال غرب "تيمزدا"	قرية قديمة
.4	توكيت	تكيت	تجمع سكاني
.5	أدوناط	اسم ذو أصل مسيحي قديم	ق2هـ/ 8م
.6	إيجيطال	إحيطال / أجيطال	قرية قديمة
.7	ويغو	ويغي / أويغوا	قرية قديمة
.8	تارداية	تاردية	قرية قديمة
.9	سنتوت	أولاد مسعود (في أرض الرجبان)	قرية قديمة
.10	ماطوس	تين با ماطوس / تين با مطوس	قرية قديمة
.11	شروس	سروس / بومعروف	قرية قديمة
.12	إيفاطمان	فاطمان / مجاورة لبلدة ويغو	قرية قديمة
.13	أمسين	قصر أمسين	قرية قديمة
.14	ميري	/	قرية قديمة
.15	بغطورة	/	قرية قديمة
.16	تين بطين	/	قرية قديمة
.17	أغرمينان	/	قرية قديمة
.18	ماسين	/	قرية قديمة
.19	جلزيت	/	ضريح
.20	تين كنيس	/	ضريح
.21	تاحواريت	/	كنيس [25]
.22	تاغليس	/	كنيس
.23	طرميسا	/	قرية قديمة

[25] – يشير المؤلف في كثير من المحطات إلى الجذور المسيحية المنتشرة في الجبل من خلال طوبونيمات عديدة، ينظر نفسه، ص56 – 62.

.24	تازورايت	/	قرية قديمة
.25	تين دميرا	تندنميرة / تندنميرت / تندميرة / تندميرت	قرية قديمة
.26	تاملوشايت	تملوشايت	قرية قديمة
.27	تين دوزيغ	تندوزيغ	قرية قديمة
.28	إماتيون	آت ئمطّيون	قرية قديمة
.29	كاباو	/	قرية قديمة
.30	تيمصمص	تيمصماص / تمصمص / تيمصوين	قرية قديمة
.31	فرسطا	فرسطاء / فرسطى	قرية قديمة
.32	بغطورة	/	قرية قديمة
.33	الحرابة	/	قرية قديمة
.34	جميلة	جُمِيلا / جميلا – جليمت / جلّيمت	قرية قديمة
.35	إبناين	إيبنّاين	ضيعة
.36	باقالاّ	بكالاّ (قرب الحرابة)	واد
.37	بوركوا	/	واد
.38	كمزين	طمزين	قرية قديمة
.39	الجفارة	/	سهل
.40	تيجي	/	واد
.41	ورتيعي	/	موضع
.42	مادمان	ميدمان	موضع
.43	تيغيت	/	موضع
.44	تاغرويت	/	قرية قديمة
.45	لالُت	لالوت / نالوت	قرية قديمة
.46	وُروري	/	قرية قديمة
.47	واد الشيخ	/	واد
.48	تمنكرت	تامانكارت	قرية قديمة

.49	بورگوا	بورجوا	واد[26]
.50	أميناج	أمينج / إمينّج / إينّاج	موضع
.51	تاواغت	أولاد محمود	قرية قديمة
.52	وزّان	/	قرية قديمة

ثانياً: الجهة الشرقية لجبل نفوسة:

.53	جادو	/	قرية قديمة
.54	زمّور	/	قرية قديمة
.55	طرميسة	/	قرية قديمة
.56	إيجناون	/	قرية قديمة
.57	أركان	/	قرية قديمة
.58	إدريف	/	قرية قديمة
.59	ميري	على هضبة الرجبان، شمال غرب أدرف	قرية قديمة
.60	أصغو	تايصّاغت / قرب ركرك غرب فساطو	قرية قديمة
.61	إيشّارن	إشارن / شارن / (أولاد جابر)	قرية قديمة
.62	تاسنتوت	غير بعيدة عن تارداية	قرية قديمة
.63	أوغرم إينّان	أغرمنان / أغرم–ئمان، قبالة "أبديلان"	قرية قديمة
.64	فسّاطو	فساطوا، بين الرجبان والرحيبات [27]	قرية قديمة
.65	تيغرمين	تغرمين / تاغرمين	قرية قديمة
.66	تيميَا	تيمية / تِيمتِي / تِيمِيتِي	قرية قديمة
.67	تين مزغورا	تين مصغورة / تين ماصغورة / بزغورة	قرية قديمة
.68	تين زج	تنزج	قرية قديمة
.69	أَبدِلاَن	ناحية الرحيبات قرب القنافيد	قرية قديمة

[26] – نلاحظ أنّ تركيز المؤلف كان أساساً على القرى القديمة وقد ورد عرضاً ذكر بعض الوديان وعيون الماء، ولعل البحث في هذا المجال يستوجب مجهودات أخرى.

[27] – تضم فساطو: طرميسا – أوجليم – أوشباري – تالات ذ ؤميران – تموگت – آت ئگناون – شكشوك – جادو – مزّو – جمّاري – آت ئند باس – تيمزغورا – ويفات – رگرگ – تمزدا، ينظر: نفسه، ص104.

.70	شيبة [28]	قرب تالات ـذ ؤميران	مصلى
.71	ديجي	ديجّي / دجّي	قرية قديمة
.72	تواغت	تاويغت	قرية قديمة
.73	تيريورين	تِليوين / تِيري	قرية قديمة
.74	موصالاّ يوش	موصلّى يوش	مصلى
.75	تاردايت	تاراديت	قرية قديمة
.76	إجنّاون	إيگنّاون	قرية قديمة
.77	أمَاصِم	مازر / أمازير / خربة ماجر	قرية قديمة
.78	مصلوكن	يصلوكن	قرية قديمة
.79	مرساون	إمرسان / إمرساون / مرساون / الحمران	قرية قديمة
.80	أرجان	/	قرية قديمة
.81	مزّو	/	قرية قديمة
.82	إدرف	أدرف / تقع بين "ميري" و"شارن"	ضيعة كبيرة
.83	تصرار	تاصرار / مصلى تامّالت بوادي فرسطا	قرية قديمة
.84	يالوت	الجبل البربري بمحاذاة الواحة المصرية	جبل
.85	تيمصليت	تيموصاليت / تِيمُصاليت / تصصليت	قرية قديمة
.86	تَصَنطْيت	/	ضيعة
.87	سرغينت	تاسرغينت / أوسرغينت / سارغنت / سارغينا	موضع [29]

في الدراسة اللسانية لأنوميا وطوبونيميا الأمازيغية من خلال كتاب تسمية شيوخ جبل نفوسة، ذكر المؤلف قرى جهة أميناج أو إينّاج (وهي الضفة الغربية لجبل نفوسة) والتي تتكون من ثلاثة وعشرين موضعاً، ثم أضاف لها ثماني مواضع أخرى، في حين تقع جادو وما جاورها في الجزء الشرقي للجبل، والحقيقة أنه ذكر عرضاً مواضع أخرى دون شرح وذلك عند محاولة تحديد بعض المواضع، وفي الجدول أعلاه نماذج عدة.

[28] – نسبة إلى شيب الدّجّي النفوسي، الحامل لراية الإباضيين في معركة مانو (283هـ/896م)، ينظر: نفسه، ص115.

[29] – أورد المؤلف طوبونيمات عديدة أخرى غير هذه التي أحصينا في الجدول، وذلك أثناء محاولة تحديد بعض المواضع دون تفصيل.

الخلاصة والتوصيات:

يعتبر التراث الحضاري المعماري وغيره على اختلاف أنواعه وأشكاله مبعث فخر للأمم واعتزازاً لها ودليلاً على عراقتها وأصالتها، لأنه معبّر عن الهوية الوطنية الخالصة وحلقة وصل بين الماضي والحاضر، يكشف لنا عن ملامح الخصوصية الطبيعية والحضارية لمعالم الوطن الفسيح والمتنوع، وتتجلى لنا علاقات التقاطع بين جهاته شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، وهنا استعرضنا نموذجاً لطوبونيميا جبل نفوسة، والتي كان لها دور حضاري متميز خلال مراحل التاريخ المتعاقبة، تجلى في دور الإنسان الجبلي في صناعة معادلة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعمارة المنطقة وفي ربط الشرق بالغرب والشمال بالجنوب...

كما توضح لنا من هذا العرض الموجز الأهمية التاريخية والاجتماعية لدراسة المناطق الجبلية وضمنها النظام القروي، وهذا التنوع والثراء الذي يثري المعجم الطوبونيمي النفوسي، من خلال التعرف على مواقع القرى القديمة والحديثة ومكونات المرافق الحياتية المختلفة فيها انطلاقاً من الهندسة المعمارية لمختلف مرافق الحياة داخل القصور (غسرو ن نالوت أو كاباو نموذجاً) ...

كما أنّ ثراء معالم الحضارة في جبل نفوسة نموذجاً يدفعنا للبحث أكثر في العلاقات الحضارية عبر العصور والأجيال، فالحركة التجارية للقوافل شمالاً وجنوبًا، وحركة وفود الحجّ شرقاً وغرباً، وزيارة مشاهد الجبل وقبور الصالحين وأماكن العبادة...، ووجود مراكز عمران حضرية ساهم بقدرٍ جليل في إقامة تلك العلاقات وفي تعزيز أمرها، وبالتالي سيسهم في ثراء وتطور المعجم الطوبونيمي للمنطقة.

ولعل القراءة التاريخية والاجتماعية للوجود الحضاري في جبل نفوسة رغم الدراسات التي ظهرت في السنوات الأخيرة أي بعد 2011، وبخاصة منشورات مؤسسة تاوالت الرائدة في المجال الثقافي وسلسلة البحوث التاريخية والترجمة والرحلات...، مع ذلك ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات المعمقة لمكوناته الحضارية، تماماً كما تحتاج إلى تثمين نتائج تلك الدراسات في واقع الميدان وذلك بتشجيع البحوث حول الحضارات الإنسانية التي استقرت بشمال إفريقيا وأطراف الصحراء الكبرى بما سيسهم في إنقاذ الإرث الثقافي وإبراز الخصوصية الطبيعية والحضارية للمنطقة؛ ويمكن تلخيص البحث في مجموعة من التوصيات منها:

* تثمين التواصل بين الباحثين المهتمين بالطوبونيميا من خلال رصد ملامح العمارة الإنسانية في جبل نفوسة خصوصاً والأقطار المغاربية عموماً، وجمع ما أقيم حولها من دراسات عربية وأجنبية ونشرها، وعقد ملتقيات دورية تبحث هذا الشأن وتُعنى به، مع أهمية تطعيمها بالزيارات الميدانية.
* إنشاء مجلة دورية تعنى بتشجيع البحوث والدراسات المنجزة حول الطوبونيميا.
* وضع معجم طوبونيمي لجبل نفوسة ضمن منصة إلكترونية قابلة للإثراء والتطوير.

* ترقية الأبحاث التي تعنى بالتراث العمراني للقصور الجبلية في ليبيا وعموم شمال إفريقيا واعتبار إنكار هذا التراث خرقاً للقوانين والأعراف الدولية.

* حث الطلبة والباحثين وتشجيعهم على إعداد بحوث منهجية تعنى بالدراسات الطوبونيمية ورصد عموم المناطق الليبية والمغاربية.

* استعمال مختلف الروابط الإلكترونية ومواقع الإنترنيت في سبيل جرد وإحصاء أكبر ما يمكن من الأسماء، ودراسة الجذور والروابط التاريخية ومختلف ظواهر تشابه الأسماء ومعانيها...

* إنشاء منشورات تعرف بطوبونيميا ليبيا وعموم الأقطار المغاربي تساهم في تعرف الناشئة بها وأهمية المحافظة عليها.

مصادر ومراجع البحث:

1. تادايوش ليفيتسكي، تر: عبد الله زارو، تق: موحمد وُمادي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، تاوالت، 2013.
2. ماريو كورسي، تر: عبد الوهاب الدّاب، مر: موحمد وُمادي، عبر الجبل (رحلة ماريو كورسي)، تاوالت، 2013.
3. معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط1، 1999.
4. معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف، عُمان، ط1، 2008.
5. ببليوغرافيا الإباضية، قسم المغرب، أم.أنش.كاسترس، تر: موحمد وُمادي – خديجة كرير، نشر وزارة الأوقاف عُمان، 2021.
6. ف.أكاردو، معجم قبائل ودواوير الجزائر، تر: حمزة الأمين يحياوي – مالك بن خيرة، نشر وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
7. عمر لقمان بو عصبانة، منتقيات من التراث (مقالات ومحاضرات)، نشر ذاكرة عُمان، ط1، 2016.
8. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وتورثها المباركة، المطبعة العربية، ط1، 1971.
9. إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985.
10. إبراهيم عبد السلام، الطوبونيميا وآليات اللغة – مزاب نموذجاً، مداخلة لملتقى المعجم الطوبونيمي لإقليم مزاب، جامعة غرداية، فبراير 2023، مرقون.

الملاحق:

خريطة لجبل نفوسة في العصر الوسيط

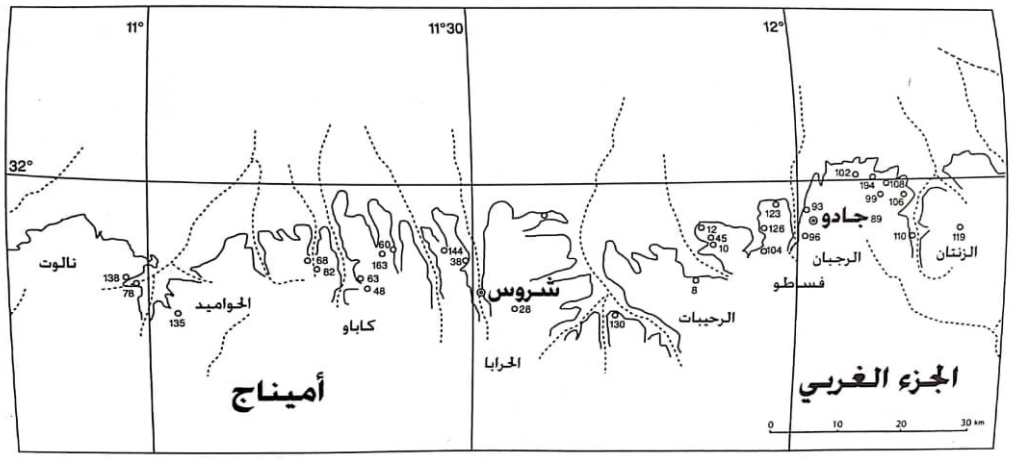

يتجاوب كل رقم من الأرقام الموضعة على الخريطة مع رقم التعليق في الكتاب

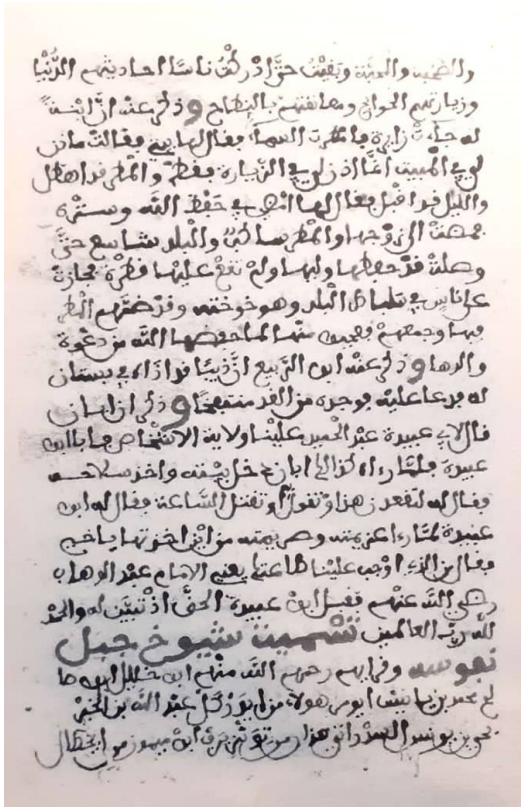

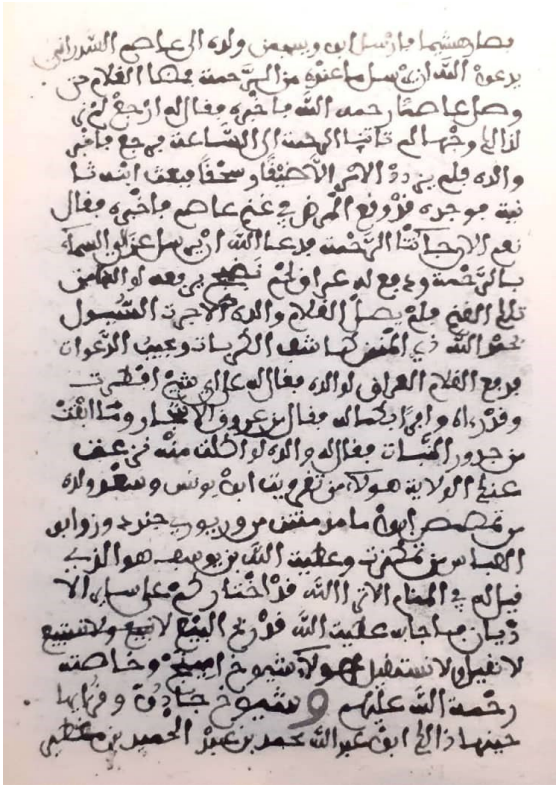

ورقتين من مخطوطة كتاب " تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم".

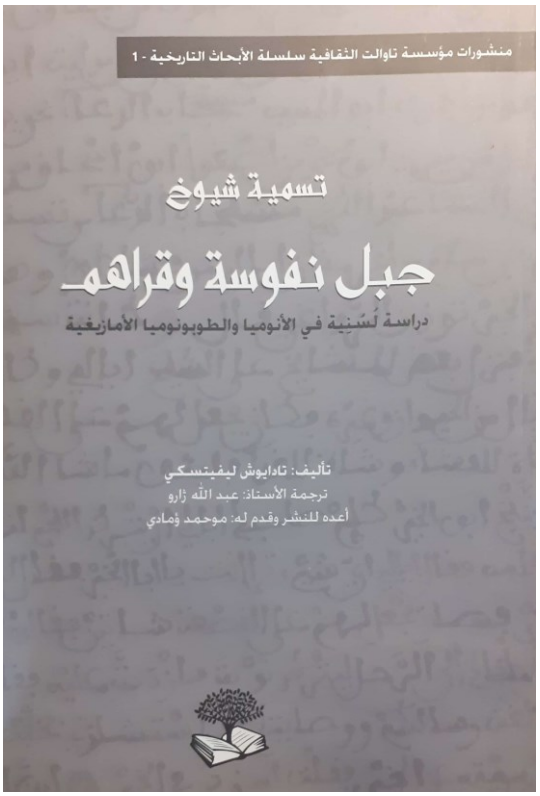

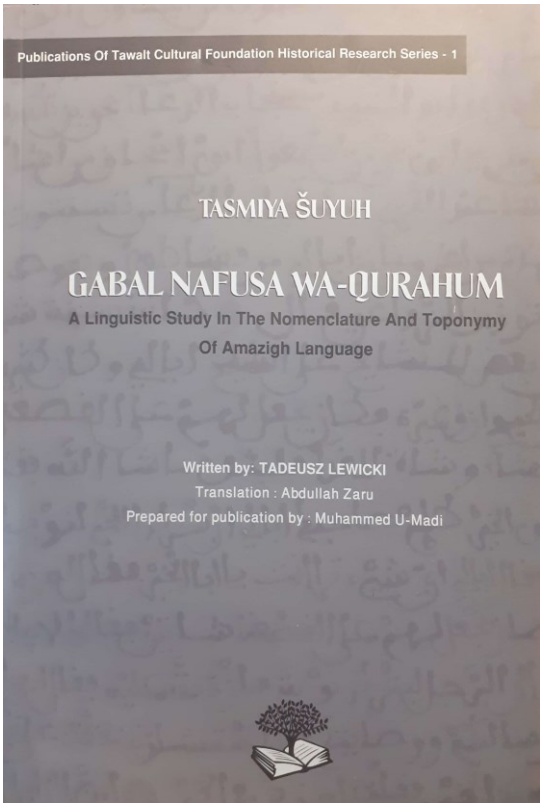

غلاف كتاب " تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم".

نشر مؤسسة تاوالت الثقافية / ليبيا